مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الحادى والعشرون
المجلد (٦) العدد (٤)
٢٠٢٥ (١٠-١)

الزخارف النباتية بالبلاطات التركية بضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

م. م. براهيمي نادية

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ نوفمبر ٢٠٢٥م

الملخص

تهدف هذه الدراسة، إلى معرفة نوع الزخرفة النباتية، التي تميزت بها البلاطات التركية التي كسيت جدران ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي،والتي تميزت باستعمال الأزهار مثل زهرة اللالة، وزهرة القرنفل، وكذلك باستعمال الأوراق، والفروع التي تميزت بالتكرار، والتقابل، والتناظر، وامتازت كذلك بالتجريد، والتحوير، ومن بين الزخارف النباتية زخرفة الارابيسك، ومن أهم عناصره السيقان، والفروع النباتية، الأوراق، والمراوح النخيلية.

الكلمات المفتاحية: الزخرفة. البلاطات الخزفية. الفروع. الأزهار. الضريح.

Abstract

This study aims to identify the type of floral decoration that characterizes the Turkish tiles covering the walls of the mausoleum of Sidi Abdel Rahman al-Thaalbi, which are distinguished by the use of flowers such as the lala flower, and carnations, as well as leaves and branches characterized by repetition, symmetry, and symmetry. They are also characterized by abstraction and modification. Among the floral decorations is arabesque decoration, whose important elements are stems, branches, leaves, and most palm fronds.

Keywords: Decoration. Ceramic tiles. Branches. Flowers. Mausoleum.

*** مقدمة**

تعتبر الزخرفة النباتية من بين الزخارف الإسلامية، التي اهتم بها الفنان المسلم، الذي نفذها على مختلف الصناعات والفنون التطبيقية سواء الخزف أو النسيج، الزجاج ...الخ آو على مختلف العمائر الدينية أو المدنية والتي تنفذ مباشرة على الجدران سواء على الجص أو على البلاطات الخزفية أو على الايواب الخشبية أو المعدنية أو النوافذ،ومن

أهم عناصر الزخرفة النباتية الإزهار، الفروع، السيقان، الأوراق،المراوح النخيلية.

احتوى ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي على مجموعة من البلاطات الخزفية، ومن بينها البلاطات التركية،التي تميزت بعدة خصائص، ومميزات زخرفيه ميزتها عن باقي البلاطات التي كانت في تلك الفترة، والموجودة في الضريح، وعليه كيف تميزت الزخرفة النباتية التي نفذت على البلاطات التركية؟

* **عرض**

١– الأساليب الفنية للزخرفة: هي تلك الطرق الزخرفية التي اعتمدها الفنان في زخرفة البلاطات التي نحن بصدد دراستها.

١– الأسلوب الرومي : ينسب هذا الطراز إلى سلاجقة الروم الذين كانوا ببلاد الأناضول ، وهو عبارة عن زخارف نباتية من براعم و أوراق نباتية و أصناف مراوح نخيلية و أغصان ملفتة ، متصلة ببعضها البعض ، وتنتهي عند أطرافها بأنصاف مراوح نخلية شكل محور يشبه منقار الطائر في أشكال متعاكسة ، و هو بصفة عامة مثل الأرابسك ، وقد استخدم هذا الطراز بصورة أوسع في زخرفة العمائر و خاصة من الداخل ([1]).

٢– أسلوب الهاتاي : الهاتاي أو القاطاي كلمة تركية تعرف بها المنطقة التركستان الشرقية التي تعد موطن الأصلي للأتراك، وقد أطلقت هذه التسمية على أسلوب زخرفي كان معروفا بهذه المنطقة خلال العهد التركي،وهو يتميز بزخرفته النباتية في شكل أغصان نباتية رقيقة تلتف حول بعضها البعض لتشكل ما يشبه الميدالية، وتحتوي بداخلها زخارف من أوراق النبات و الزهور، ويشبه بعض الأشكال الزخرفية الصينية وقد شاع استخدامه أكثر في الزخارف الداخلية للعمائر و على الخزف و السجاد ([2]).

و يتمثل الفرق بين هذين الطرازين: –

ا– زخارف الهاتاي تقتصر على رسوم الزهور والأوراق النباتية ، أما الأسلوب الرومي فعناصره قوامها الرسوم الحيوانية و النباتية معا.

ب– العناصر الزخرفية المحورة في طراز الهاتاي من السهل التعرف عليها بينما يصعب معرفتها في الطراز الرومي لشدة تحولها ([3]).

٣– أسلوب الباروك : كلمة الباروك مشتقة من لفظة باروك البرتغالية التي تعني لؤلؤة ذات شكل غير متناسق، ثم أطلقت على أسلوب زخرفي ظهر في أوروبا خلال القرن ١١هـ / ١٧م ، وكان في البداية يحمل معنى انتقاصيا محقرا لأنه شذ في عناصره الزخرفية كما كان مألوفا في فنون عصر النهضة وعناصره الأساسية هي الأصداف والقواقع والشماعد والأوراق المعقوفة وقرون الرخا والجامات .

---

[1]- سعاد ماهر ، الخزف التركي ،الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية،١٩٧٧ ، ص ٦٥،٦٦ ، أنظر أيضا : محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، مرجع سابق ، ص ٧٦.
لمعلوماتك أكثر حول الأرابسك: أنظر : إسماعيل الفاروقي ، الإسلام و الفن ، ترجمة، وفاء إبراهيم ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص ٣٩،٤٠،٤١، و انظر أيضا : عفيف بهنسي، دراسات نظرية في الفن العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٩ ، و أيضا : عفيف بهنسي ، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر المعاصر ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠.

[2] - مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، المرجع السابق ، ص ٧٧ ، أنظر أيضا ، سعاد ماهر ، الخزف التركي ، المرجع السابق ، ص ٦٦.

[3] سعاد ماهر ، الخزف التركي ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

من أهم مميزاته أيضا عزوفه عن استعمال الخطوط المستقيمة ، وإقباله على الخطوط المنحنية والحلزونية وغيرها ، وقد كان دخول هذا الأسلوب الفني إلى تركيا مع أوائل القرن ١٨ م ، و تأثرت به الفنون الزخرفية العثمانية، ثم سرعان ما طوره الأتراك وصاغوه بأسلوب متميز حتى صار يطلق عليه خلال القرن ١٩ م بالباروك التركي ([1]).

٤- **أسلوب الركوكو**: اشتقت كلمة الركوكو Rococo من كلمة روك Rock ، التي تعني الحجر بالإنجليزية ، وهي تطلق أيضا على النقوش المحفورة في الحجر ، وقد اعتمد هذا الطراز روحه من طراز الباروك ، فهو الأخر يتميز بكراهيته لاستخدام الخطوط مستقيمة وحبه للخطوط الحلزونية، وما يتصل بها من سطوح مائلة و أقواس مختلفة ، و ازدهر خلال القرن ١٢هـ/١٨ م، وكان يميل إلى الرقة و الرشاقة ومن عناصره الأوراق و الفروع النباتية و أشكال المحارات البحرية([2]).

٢- العناصر الزخرفية : الزخرفة هي كل رسم يعمل على سطح يقصد ملء الفراغ بهيئات جميلة متناسقة تستريح إليها العين ، و الزخرفة تكون خطوطا أو هيئات هندسية أو نباتية أو حيوانية ، وجمالها يعتمد أولا و أخرا على ذوق صانعها و درجة سيطرته على المادة التي يزخرفها أو يزخرف([3]).

٢-٢ العناصر الزخرفية النباتية : شاع استخدام الزخارف النباتية في العصور الإسلامية المختلفة، و أخذت مكانتها منذ البداية كعنصر هام من عناصر الزخرفة الإسلامية ، إلا أنها تأثرت بانصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة و تقليدها تقليدا صادقا أمينا ، فكانوا يستخدمون الفروع و الأوراق لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار و تقابل و تناظر، و تبدو عليها مسحة هندسية جامدة تدل على سيادة مبدأ التجريد و الرمزية في الفنون الإسلامية.

أكثر الزخارف النباتية ذيوعا في الفنون الإسلامية زخرفة الأرابسك وهي تسمية أطلقها الغرب على الزخرفة العربية، الهندسية منها و التوريقية و الواقع إن هذه التسمية، تضم كل الزخارف الإسلامية في العمارة و الفن ، كالرقش العربي و التو ريق النباتي ، دونما تحديد لشكل معين من أشكالها([4]).

الأرابسك أو العربسة كما عربها البعض هو تداخل أو تشابك الزخارف النباتية و الهندسية و بتوزيع مدروس و تناوب منظم و انسياب شاعري، وقد قسمه عدد من الباحثين إلى نموذجين: -

ا- التسطير: الشكل الهندسي للزخرفة الإسلامية كالخطوط المستقيمة و الزوايا و المضلعات و النجوم و الخط الكوفي.

ب- التو ريق أو التشجير أو التزهير: الشكل النباتي كالخطوط المنحنية أو الملتوية أو اللولبية أو الدائرية ، وكذلك أشكال الحيوانات و الطيور و الخط ألنسخي اللين المطواع.

انتعش الأرابسك و بدا انتشاره في العهد العباسي من القرن ٢هـ أو ٣ هـ و ازدهر في القرن ٤ هـ أيام السلاجقة ثم الفاطميين الذين أوجدوا له مدرسة خاصة يطلق عليها

[1] - مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، مرجع السابق ، ص ٥٤.أنظر أيضا : رزق محمد عاصم معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، المرجع السابق ،ص ١٢٦،١٢٧، و أيضا : سعاد ماهر، الخزف التركي ، المرجع السابق ص ٧٩.

[2] -مرزوق محمد عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص٥٤ .

[3] -عفيف بهنسي ، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٨٣ ، ص ١٥١ .

[4] -عفيف بهنسي ، دراسات نظرية في الفن العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٩ .

بدمشق بالزخرفة الفاطمية، و استمر في العصر المملوكي ثم العهد العثماني ([1]).

وهذا التطور و التجديد عبر العصور حتى وصلت بين يدي الفنان التركي فأستعملها استعمالا واسعا، وكون من السيقان و الأوراق الملتفة و الضفائر و الفروع و الزخارف المتداخلة مواضيع زخرفية تتفق مع المفهوم الإسلامي للفن ، ووفق في توزيعها و التأليف بينها توفيقا رائعا فجاءت أكثر رقة و أقرب إلى الطبيعة ([2]).

ويطلق الأتراك على هذا النوع من الزخرفة و مصطلح الرومي ، و يعني الرومان أي بلاد الأناضول أواسيا الصغرى حين استولوا عليها في القرن ١١ م ([3]).

استعملت عناصر الأرابسك خاصة بضريح عبد الرحمان الثعالبي استعمالا واسعا ومن أهم عناصره هي: –

ا– السيقان و الفروع النباتية : تعد السيقان و الفروع النباتية أو الأغصان من العناصر الأساسية لأي موضوع زخرفي ، فهما كالعمود الفقري الذي ترتكز عليه الأوراق و الأزهار و الثمار، وقد تكون الأغصان التي تؤلف السيقان وحيدة أو مضاعفة تزين سيقان ثانوية على هيئة متقاطعة و متداخلة مثلما يتضح ، يطلق على الموضوع الذي يستخدم فيه فرعا واحدا باسم ذي الخيط الواحد ، و إذا كان من فرعين سمي بذي الخطين ([4]).

كما أن السيقان الرئيسة تُزين بسيقان ثانوية على هيئة متقاطعة و متداخلة لركني لوحة المحراب، وهذه مميزات البلاطات التركية ، غير أن السيقان في البلاطات الخزفية التي هي قيد الدراسة رسمت بأسلوب التناظر و التقابل و التكرار الموجودة بضريح عبد الرحمان الثعالبي، فجاءت على شكل لفائف حلزونية مقوسة مشكلة تشكيلات زخرفيه من سيقان علة هيئة مقوسة تؤلف أغصانها و سيقانها ممتدة تقوم عليها بصورة متناغمة متكررة عناصر مجردة على هيئة توريق شديد التحوير .

وقد تكون الأغصان التي تؤلف السيقان وحيدة أو مضاعفة، كما أن السيقان الرئيسية تزين بسيقان ثانوية على هيئة متقاطعة و متداخلة مثلما يتضح ذلك في ركني لوحة المحراب و أبدان زهرياته و مشكاته.

وهذه السيقان ذات أهمية كبيرة فهي الأساس الذي تقوم عليه بقية الزخارف لذلك كان المزخرف التركي يسمى الموضوع الزخرفي بعدد السيقان المستعملة فالموضوع المشتمل على ساق واحدة يسميه ذو الخيط الواحد و المشتمل على ساقين يسميه ذو الخيطيين، فقد توزعت بها السيقان و الفروع فرسمت بأسلوب التناظر، و التقابل و التكرار، فالسيقان جاءت عبارة عن خيوط رفيعة تكون إما ممتدة أو ملتفة أو متشابكة و تخللها عناصر نباتية أخرى.

وهناك سيقان ممتدة و منتفخة نوعا ما في شكل محور، تنتهي بأوراق و أزهار مختلفة و متنوعة.

وظهرت سيقان لولبية و سيقان بسيطة متنوعة، وأحيانا نجدها ملتوية و ملتفة تتخللها براعم و أوراق و أزهار.

[1] -عفيف بهنسي ، دراسات نظرية في الفن العربي، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

[2]-Arseven (C,A) ,Les Arts Decoratifs Turcs , Ankara , S D , p88 .

[3] -لعرج، المرجع السابق، ص ٢٧٨.

[4] -سعاد ماهر ، الخزف التركي ، المرجع السابق ، ص ٧٢ ، ٧٥. ,

ب– الأوراق و المراوح النخلية

١– الأوراق: تعد الأوراق عنصرا أساسيا و ضروريا في الزخرفة النباتية، وخاصة في العهد العثماني ، لأن الزخرفة النباتية لا يمكن أن تستقي عن عنصر الأوراق ، غير أن الأوراق تتخذ عدة أشكال مختلفة و متنوعة على البلاطات الخزفية ، وتتخذ الأوراق النباتية عدة مظاهر منها الأوراق البسيطة و الأوراق المركبة و أهمها أوراق تشبه ريشة الطائر ، فالأوراق البسيطة منها مستخدمة في زخرفة إطار لوحة المحراب، وكذلك في بلاطات بالجدار الشمالي الغربي تقوم زخارفها على أساس دوائر مفصصة، و تمتد الأوراق البسيطة فيها بطريقة تماثلية ملتفقة مع استدارة الزخارف في الدائرة ، و تصاغ الأوراق البسيطة منها و المركبة وان كان يغلب عليها الاستطالة ، وقد ترسم منتفخة أو مسننة ذات فصوص.

ومن حيث توضع مع أوراق نباتية تزين البلاطات ، ومن بينها أوراق بسيطة مسننة بعضها يمثل نصف ورقة.

وهناك أوراق نباتية مسننة في معظمها تكون عناصر مركبة مضافة إلى الورقة الرئيسية الأصلية في الزخرفة ، فقد يتركب فوقها أوراق صغيرة الحجم أو وريقات ثلاثية ، من أهمها بلاطة كبيرة الحجم في الجدار الجنوبي الغربي بضريح عبد الرحمان الثعالبي الذي يتضمن ورقتين مسننتين يقوم على أحد طرفيها عنصر يشبه نصف زهرة صغيرة، أما الورقة بالكامل فتتضمن بداخلها أنصاف دوائر متراكبة.

كما توجد أوراق أخرى مركبة مشدوخة الوسط أو تتوسطها زخرفة أخرى على هيئة الورقة الخارجية.

ومعظم هذه الأوراق تزين بلاطات مفردة قليلة الجدار الشمالي الغربي حول الشبابيك، في حين نجد نوعا أخر من الأوراق المركبة وضعت بداخلها ساق نباتي أخر مورق(١).

ومن الأوراق النباتية الرقيقة أوراق كاسية ثلاثية الفصوص تشبه العناصر الورقية المماثلة التي تتخذ هيئة الشرفات ، وهي ذات هيئة معشقة قائمة وهذا النوع من الأوراق نجده في ضريح عبد الرحمان الثعالبي ويرجع هذا النوع من الزخرفة و إلى النصف الأول من القرن ١٦ م (٢).

ومن الأوراق النباتية التي تمتاز بها تصاميم البلاطات ورقة الأكانتس التي تعرف بأسماء عديدة منها شوكة اليهود، و ورقة الخريف البري التي اقتبسها الفنان المسلم من أصول ساسا نية (٣)، التي تتميز بشكلها المحور في بعض الأمثلة.

ورسمت بوضعيات مختلفة منها متناظرة ومتقابلة أو مستلقية طولية تنتهي بأطراف منحية معقوفة الأطراف على لفائف .

ومن الأوراق التي تمتاز بها بعض البلاطات أوراق العنب، وتبدو هذه الأوراق منبثقة من فروع نباتية يبرز من ركني البلاطة مقاسها (٢٤ سم X ٢٤ سم) مع تفاصيل زخرفيه أخرى على هيئة أغصان مزهرة ، وأوراق كبيرة محلاة بداخلها بأزهار، و يحدها إطار ذو زخارف على هيئة السحب و الأقمار، ونجد هذا النوع في البلاطات التركية.

وكثر استعمال هذا العنصر من الزخارف بعد إدخال أسلوب عصر النهضة و أسلوب الباروك الأوروبي إلى تركيا في القرن ١٨ م ، ويرجع هذا العنصر أساسا لأصول إغريقية و بيزنطية (٤).

1- Arseven ,OP .CIT, p70.

٢ - لعرج ، المرجع السابق، ص ١٨٣ .

٣-فريد شافعي ، المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

4-Arseven, OP ,CIT ,P70,71.

الشكل:رقم٠١ (عن لعرج عبدالعزيز)

٢– المراوح النخيلية : تعتبر المراوح النخيلية من أهم العناصر النباتية في الزخرفة الإسلامية، شاع استخدامها منذ العصور القديمة كعنصر زخرفي فقد عرفها الفنان الإغريقي الذي استخدمها بصورتها الطبيعية، وعرفها الرومان إلا أنهم لم يطوروا شكلها بل ظلت على ما كانت عليه في الصورة السابقة عكس ما بدت عليه في الزخرفة البيزنطية التي تميزت بمرونتها، و تكيفت مع حولها من محيط هندسي (١) .

استمر هذا النوع من الزخارف في الفترة الإسلامية، فاستعمله الفنان المسلم بكثرة فعمل على تطويره، وابتكاره على أشكال أخرى، فظهر طراز زخرفي إسلامي (٢).

وجدت المراوح النخيلية بكثرة في البلاطات التركية فتميزت بالتنوع، و الاختلاف الشديد في الأشكال و الأحجام التي تراوحت بين الصغيرة و المتوسطة و الكبيرة ونجد المراوح النخيلية على عدة أشكال وهيئات نجدها مركبة أو على هيئة أنصاف مراوح نخيلية على هيئة ورقة مقوسة أو مسننة أو المفصصة ، وكذلك تميزت باستطالتها حتى أنها أخذت شكل رمحي،، و أحيانا أخرى نجدها بانحناءات دائرية نحو الخارج أو الداخل .

٣– الأزهار : تعتبر الأزهار من أهم العناصر الزخرفية النباتية ، وهذا راجع إلى شكلها وجمالها الذي أدى بالفنان المسلم إلى الاهتمام بها و اعتبارها موضوعا زخر فيا خاصة في العهد العثماني ، لأن السلاطين أنفسهم اهتموا بها وهذا لما تؤثر به على النفس من راحة نفسية ، وكون الأزهار تعبر عن أجمل المعاني و الأحاسيس، ولعلى أهم الأزهار و أكثرها انتشارا في البلاطات هي أزهار الورد و زهر الرمان،والقرنفل واللالة وغيرها من الأزهار وجميعها،لا تقوم بمعزل عن بقية الزخارف و لا تستقل بذاتها ، و يتألف تصميم الزهرة من خمسة عناصر هي الفروع الكبيرة و الأغصان أو السيقان الصغيرة و الأوراق و البراعم ثم الزهرة نفسها . ومن أهم الأزهار التي استخدمت في معظم التكسيات ومنها: –

ا– زهرة اللالة : يطلق عليها زهرة شقائق النعمان ، ويذكر أن هذه الزهرة ذات أصل هولندي أدخلت إلى تركيا في القرن ١٨ م ، في عهد السلطان احمد الثالث على يد السفير الهولندي في إسطنبول ، إلا أن الأدلة التاريخية تؤكد أن زهرة اللالة أدخلت من هولندا إلى تركيا في القرن ١٦ م ، و أنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ (٣) .

وقد اشتد الإقبال على استخدام هذه الزهرة في الزخارف في جميع الفنون في القرن ١٨ م، وبخاصة في تركيا في عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣م–١٧٣٠م)، والذي عرف عصره بعصر زهرة اللالة إذ تبارى خلاله محبو هذه الزهرة في استنبات أنواع جديدة منها يمتاز كل نوع منها بشكله ولونه الخاص (٤) ولقيت هذه الزهرة من العناية و الإقبال ما لم تلقاه الأزهار الأخرى ومن شدة اهتمام الأتراك وعنايتهم

١-عفيف بهنسي ، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
٢- نفسه ، ص ١٦٤ .

3 Arseven (C ,A) ,OP .CIT, P 58
4 Ibid, p58

بهذه الزهرة أسس للأزهار مجلس يدعى باسمها لتنظيم المسابقات وتوزيع الجوائز على الذين يهجنون أنواع جديدة من الزهرة ، وكانت تقام في حدائق السلاطين والكبار رجال الدولة و الشخصيات الثرية، الحفلات الليلية تضاء فيها هذه الحدائق وتعلق فيها المصابيح المضاءة مع الأزهار ويصحب ذلك أنغام الموسيقى([1]).

لقيت هذه الزهرة ة من العناية و الإقبال ما لم تلقاه الأزهار الأخرى باستثناء زهرة القرنفل التي شاركتها هذه المكانة ، و يذكر أن سفير هولندا في اسطنبول نقل زراعة زهرة اللالة إلى حدائق قصره وحرص على عدم إذاعة سرها لكي يظل متميزا عن غيره بامتلاكها، رغم ذلك فقد تسرب سرها من قصره لتنشر في جميع هولندا وتنتقل منها إلى أوروبا ، ويشير أرسفان أن الأهمية زهرة اللالة لم تأت من جمالها و شكلها الزخرفي فقط، ولكن أهميتها تنبع كذلك من الدلالة التي يحملها اسمها ([2]).

فكلمة (لآلة) في الحروف العربية تشكل من نفس الحروف التي تكون لفظ الجلالة (**الله**) ، ومن ثمة فإن هذا التشابه في الحروف اكسب هذه الزهرة جلالا و قدسية لدى الأتراك بصفة خاصة حيث رسم الفنانون زهرة اللالة في عدة أشكال ومنها شكل يشبه الهلال وهو الشارة المميزة للدولة العثمانية ، وقد ظلت هذه الزهرة محافظة على مكانتها في المجتمع التركي حتى غزا أسلوب الباروك و الركوكو من أوروبا الفن التركي في القرن ١٨م ([3]).

تمتاز زهرة اللالة في الزخارف المطبقة على البلاطات بالتنوع في شكلها و حجمها ، كما رسمت بأسلوبين: أسلوب واقعي طبيعي، و أسلوب محور يصل في بعضها إلى درجة كبيرة من التحوير تفقد معها شكلها و أصولها و تتحول بطريقة يغلب عليها الطابع الزخرفي و الهندسي .

أجمل البلاطات المتضمنة لزهرة اللالة المرسومة بالأسلوب الأول حيث تنمو أزهار اللالة في هذه اللوحة من الأرض أسفل الزهرية الوسطى، كما تبرز من الزهريات ومن الفروع النامية منها بطريقة عمودية ملتوية ، وشُكلت أزهار اللالة في هذه اللوحة بأسلوب طبيعي على هيئة بيضاوية البدن تتراجع لتنغلق على نفسها في النهاية بطريقة تسمح بتمييز الأوراق الثلاثة التي تشكلها في جزئها الأعلى وتبرز من جسمها البيضاوي ورقتان و ورقة واحدة حادة الطرف ، كما تتشابه زهرة اللالة مع أزهار أخرى ضمن تصميم زخرفي يقوم على الأزهار في البلاطات المتكررة على شكل إطار للبحور الكتابية العلوية.

وهناك نماذج من البلاطات رسمت أزهار اللالة ضمن لفائف من الأغصان الحلزونية بأسلوب الباروك الأوروبي وتحولت زهرة اللالة في بلاطات أخرى إلى عناصر أكثر زخرفة و تنسيقا بالرغم من احتفاظها بهيئتها الطبيعية وقد شُكلت بثلاثة أوراق تحولت نهاية الورقة الوسطى فيها إلى ثلاثة فصوص في الوقت الذي كانت تتكون من فصين فقط وهذا يوضح مدى التغيير الذي تعرضت له هذه الزهرة في القرن ١٨ م.

ب–زهرة القرنفل : تعتبر زهرة القرنفل من بين الأزهار التي أغنى بها الأتراك وحتى السلاطين أنفسهم فهي لا اقل أهمية عن زهرة اللالة ، وتعتبر زهرة مجهولة المصدر، فقد تكون جاءت من إيران أو الصين ([4]) ، ومن أهم خصائص هذه الزهرة أنها ترسم بأسلوب محور تحويرا شديدا، وبطرقة تجعلها

---

[1] Arseven (C,A) ,OP .CIT, p58.

[2] - سعاد ماهر، الخزف التركي، المرجع السابق، ص ١٢٢.

[3] - نفسه ، ص١٢٤ .

[4] -لعرج ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

تبدو ذات نمط زخرفي بحت بعيدا عن البساطة ، ولكنه يَنْتج تأثيرا جماليا لطيفا تتميز زهرة القرنفل عن بقية الأنواع الأخرى ببتلاتها المسننة التي يسهل التعرف عليها عند التحوير([1]) .

انتشرت زهرة القرنفل في مختلف الفنون الزخرفية في تركيا و المناطق الخاضعة لها، و تجاوز التأثير التركي إلى أوروبا التي انتشرت في فنونها هذه الزهرة انتشارا واسعا ونفذت على الفنون الزخرفية بها. وتتضمن، زهرة من أزهار القرنفل تنمو من الزهرية الوسطى بطريقة مختلفة بين أزهار القرنفل الأخرى و أزهار اللالة ، كما رسمت عند بداية نمو الفروع الملتوية من الزهرية و تنمو فروع من حول الزهرتين الجانبيتين في المسافة المحصورة بينها و بين الإطار، و تتألف من أزهار قرنفل مرسومة على مقياس أصغر، وجميع هذه الأزهار رسمت بطريقة أقرب إلى الطبيعة.

ورسمت زهرة القرنفل في الزهرية الوسطى على شكل دائري تقوم على قاعدة أنبوبية وذلك بسبعة فصوص مسننة، في حين رسمت في الجزء الأسفل حول الزهرتين الجانبيتين بثلاثة فصوص فقط.

لقد اتخذت زهرة القرنفل شكل ورقة ثلاثية كاسية ، تبرز منها بتلات مسننة تنتهي بشكل ثلاثي،أو مستدير، و اتخذت هذه الأزهار شكل أزهار القرنفل الأوروبية في الطراز الإيطالي و الإسباني في القرن ١٨ م أو النصف الأول من القرن ١٩ م .

كذلك رسمت نفس الزهرة منبثقة من زهرية أخرى، غير أن الزهرية و أزهار القرنفل التي تنبثق منها رسمت بأسلوب شديد التحوير فجاءت مرسومة بأسلوب أقرب إلى الأسلوب الأوروبي ، لقد تنوعت أشكال و أحجام زهرة القرنفل، فرسمت مستقلة بذاتها لتكون زخرفيا ، كما رسمت مصحوبة بزهرة اللالة يكونان موضوعا زخرفيا أخر.

ومن الأزهار التي استخدمت أيضا لكن بأقل كثافة عن الزهرتين السابقتين زهرة الرمان التي يبدو عليها الطابع ألزخرفي إذ رسمت خطوطها التحديدية بأوراق مفصصة متصلة ، وحليت الزهرة بالداخل براعم تنتهي بأزهار مستديرة خماسية، إلى جانب هذه الزهرة وجدت زهرة عرف الديك التي اقتربت من حيث أسلوب التشكيل مع زهرة اللوتس التي تحلي بعض الإطارات أي، زهرة اللوتس ذات أصل صيني أدخلت إلى إيران ومنها آسيا الصغرى حيث أدخلها الأتراك وزينوا بها مختلف المنتجات الفنية.

وقد رسمت نفس الزهرة، غير أنها هنا رسمت بطريقة أقل واقعية حيث جسمت بعناصر على هيئة قشور السمك تتوسطها أوراق ثلاثية ومطولة.

الشكل:رقم٠٢ (عن لعرج عبد العزيز)

هناك أزهار مستديرة بسيطة أو مركبة من النوع الورقي تتألف من فصوص بيضاوية وسطى تقوم عليها أوراق صغيرة ثلاثية وقد رسمت هذه الأزهار مع السيقان و الأوراق.

٤– الباقات: هي كل ما شكل من مجموعة أزهار أو ورود و الأوراق بمختلف أشكالها، و أحجامها، تنمو من فوهة

[1]-طيان شريفة ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، ج١ ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٧ -٢٠٠٨ ، ص ٢٧٩ .

المزهرية، أو فوهة على هيئة حرف (S) اللاتيني مقلوب أو من عدة أزهار.

المزهريات: يقصد بها أنية مشكلة من الخزف وغيره من المواد توضع فيها الأزهار للزينة، وتعتبر المزهرية من بين المواضع الزخرفية التي نجدها بكثرة في البلاطات التركية، باختلاف أشكالها، فالنوع الأول تبدو فيه الزهرية على شكل قطاع نصف دائري ، بصلي الشكل وتتكون هذه من ثلاثة أجزاء : قاعدة متسعة و بدن يصلي ورقبة مسلوبة تنتهي بفوهة ضيقة.

أما النوع الثاني من الزهريات فيتميز باختلاف كامل عن النوع الأول، و يتكون من ثلاثة أجزاء : قاعدة ضيقة ، بدن منتفخ ورقبة و فوهة ضيقتين ،ويصل بين الفوهة و البدن عروتان على شكل حرف السين اللاتيني، و يتضمن بدن هذه الزهرية خدودا مقوسة عمودية أشبه تلك الخدود في الزهريات التي على هيئة أطباق ذات قواعد مرتفعة .

وهناك نوع أخر من الزهريات ذات قاعدة و فوهة ضيقة و بدن يربط بينه، و بين الفوهة مقبضان مقوسان، وتنمو من الزهرية فروع مورقة و مزهرة مرسومة بأسلوب محور فقدت فيه الأوراق طبيعتها و تحولت إلى ما يشبه العناصر الهندسية.

الشكل:رقم٠٣(عن لعرج عبد العزيز)

٥– الأشجار : كانت الأشجار من بين المواضيع الزخرفية التي اهتم بها الأتراك في مختلف منتجاتهم الفنية و بالخصوص شجرة السرو والنخيل ، وكان لشجرة السرو أهمية خاصة لدى الأتراك كانت تغرس في المقابر([1]) ، لتلطف برائحتها الطيبة الروائح الكريهة، فهي ترمز إلى الخلود في عقيدتهم لاخضرار أوراقها على طول فصول السنة ، وكانت تلون دائما باللون الأخضر لتحاكي لونها الأصلي في الطبيعة وهي بذلك تعبر عن الحياة المتجددة الخالدة ، ومن ثمة نشأ تقديس الأتراك للون الأخضر([2]) .

أما شجرة النخيل تلقت نفس المكانة من طرف الأتراك مثل شجرة السرو لأنها شجرة النخيل ترمز للجنة و رسمت هذه الأشجار بأسلوب محور تخطيطي في مثال يتكون من شجرتي السرو تتوسطها شجرة النخيل ورسمت هذه الأشجار بداخل عقد نصف دائري مزرر تتدلى منه مشكاة معلقة في ثلاث سلاسل، وفي زخارف لشجرة نخيل شديدة التحوير مرسومة بطريقة عمودية، وزين قلب الشجرة التي تبدو كما لو كانت مقطوعة شكل عمودي بعناصر على هيئة قشور السمك، وعلى كل جانب من البلاطة نصفها يكتمل في البلاطات المجاورة.

٧– الثمار : تعتبر الثمار من بين العناصر الزخرفية التي اهتم بها الأتراك التي جسدوها في مختلف منتجاتهم الفنية ، وظهور الثمار بمختلف أنواعها المختلفة في بداية الفن الإسلامي متأثرة بالفنون البيزنطية ، واعتبرت من الموضوعات الثرية ، وإن كانت نادرة حتى القرن١٢هـ/١٨م،إلا أنها أصبحت من المواضيع المحبذة و المنتشرة فيما بعد كالرمان و العنب، و البرتقال وغيرها، وهي تشكل أهمية متميزة باعتبار أن لها معاني رمزية

[1]-مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

[2]-سعاد ماهر، الخزف التركي، المرجع السابق، ص١٢٠.

خاصة ([1]) ، وكانت تستعمل الثمار لأنها ترمز إلى الرخاء والثراء ، وهي أيضا فواكه الجنة .

أما الثمار التي تظهر على النماذج المدروسة فهي قليلة جدا إذا ما قورنت بباقي العناصر الزخرفية الأخرى ، وتوزعت بين البلاطات التركية في حبيبات الرمان، وعناقيد العنب، وهذا بعد إدخال أسلوب عصر النهضة و أسلوب الباروك الأوروبي إلى تركيا ي القرن ١٨ م.

بالإضافة إلى العنب في البلاطات التركية نجد فاكهة الكرز، نجدها تشترك مع عناصر نباتية كالأوراق، والأزهار.

الشكل:رقم٤٠(عن لعرج عبدالعزيز)

*** خاتمة**

تميزت الزخارف النباتية بالبلاطات التركية، بضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، بالتنوع حيث تميزت باستعمال الأزهار والورود مثل زهرة اللالة، وزهرة القرنفل،اللتان اهتم بهما السلاطين العثمانيين،حيث كانت الزخارف النباتية مستمدة من الطبيعة، لكن بأسلوب التجريد، والتحوير، والى جانب الأزهار تم استعمال الأوراق والفروع، والمراوح النخيلية،الاشجار، الثمار، والتي تميزت بالتكرار، والتقابل، والتناظر، ومن بين الزخارف أيضا استعمل زخرفة الارابيسك.

*** المراجع**

اولاُ– المراجع العربية

بهنسي (عفيف)، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه دار الفكر المعاصر ، ١٩٨٣.

بهنسي (عفيف)، دراسات نظرية في الفن العربي الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد العزيز (محمد مرزوق) ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .

لعرج (عبد العزيز) ، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي ، ط١ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٠ .

ماهر(سعاد)، الخزف التركي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية و المدرسية و الوسائل التعليمية، ١٩٧٧م.

طيان شريفة ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، ج١ ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨

ثانياً– المراجع الأجنبية

Arseven (C,A) ,Les Arts Decoratifs Turcs , Ankara, S D

[1]- طيان شريفة ، المرجع السابق ، ص٣٢٢ .